

باب المراسلة والمناظرة

﴿ كلمات في النسخ والتواتر واختبار الاحاديث والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح الياضي (٥)

(الكلمة السادسة) — في التواتر

أهم ما يطمئن به في وجوب التواتر فيما يعمل به في الدين مسألة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الآحاد للتعليم وللحكم بين المسلمين والملوك . فأعلم أن خبر الواحد — كما قلنا — لا يوجب اليقين ولا يجب العمل به إلا إذا أيدته قرائن أخرى قطعية فهو هؤلاء الآحاد الذين كان يبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجهات للتعليم ما كان يجب على الناس فيها ان يوقنوا بما يخبرونهم به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يجوز عليهم الخطأ والسيان كما أنه يجوز عليهم الكذب أو الارتداد . وإنما هؤلاء الناس الذين كانوا في تلك الجهات تحقروا أن رسول الله أرسل إليهم هؤلاء الرسل وأوجب عليهم إطاعتهم والاحتساب منهم . وقبل أن يحقروا ذلك لا يجب عليهم طاعتهم ولا الأخذ عنهم فهم في طاعتهم لهم وأخذهم عنهم بعد يقينهم من أنهم مرسلون إليهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم إنهم مطيعون لله ورسوله ولأولي الأمر ، فإذا قالوا لهم ان الرسول قال كذا فاعملوا به وجب عليهم أخذ هذا القول عنهم كما أمرهم الرسول ووجب عليهم العمل به لا لانهم أيقنوا أن الرسول حقيقة قاله ولكن لانهم أمروا بطاعة أولياء أمورهم فلا يجوز مخالفتهم أو رفض كلامهم إلا اذا علموا بكذبهم وحينئذ يرفعون الأمر إلى رسول الله فيحكم برفضهم عن تولي أمورهم وتسقط عنهم طاعتهم فيما يروونه عن رسول الله . وعليه فهو هؤلاء القوم ما كانوا عاملين بالظن وإنما هم مطيعون لأمر يسمعون منه من أولياء أمورهم

(٥) تأييداً لشرقي (ص ٨٦٦ ج ١١٠٠) من مقالة الدكتور محمد توفيق افندي صديقي

بأذانهم فأخذون به ويسلمون به كما أمروا وسواء في ذلك أقتوا أن الرسول قاله أولم
يقه فالعهدة فيه علي رواثة

فان قيل إن لم يكن هؤلاء عاملين بالظن فالرسول نفسه عامل بالظن والإفكيت
يرفق بأن هؤلاء القوم لا يلبثون عنه إلا ما يريدون؟ — قلت ان الرسول ان لم يعلم ذلك
بظري الوحي كما كان يخبره الوحي بحالات كثيرة مثل هذه عن اصحابه البعدين عنه
كاهو مشهور في سيرته فقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم من هؤلاء المبعوثين الصدق والأيمان
وقوة العقل والعلم بالدين وقد اختبرهم بنفسه زمنا طويلا حتى علم اخلاقهم وأعمالهم
وأحوالهم وسبر غورهم فهو يكاد يجزم بصدقهم واخلاصهم كما يجزم أحدنا — وإن كان
نظره أضغف من نظر الرسول — بصدق صاحبه واخلاصه بدم مباشرة له زمنا طويلا
في أحوال مختلفة . وان بقي في النفس أدنى شك في ذلك أو تجوز للخطأ أو التسيان عليهم
فهؤلاء المبعوثون ما كانوا يذهبون الى جهات مقطعة عن المسلمين بل كان بينهم
وبين المسلمين صلة وثيقة وعلاقة كبيرة فكان يأتي منهم الكثيرون الى المسلمين
مرات عديدة في السنة لزيارة والتعارف والحج والتجارة وغير ذلك وينهب إليهم
المسلمون لمثل هذه الأغراض فاذا حاد المبعوثون عن شيء مما تلقوه عن رسول
الله أو أخطأوا فيه وصل ذلك الى علم رسول الله في أقرب وقت فيصحح هذا الخطأ
أو يعزلهم او يعاقبهم . فالوحي وبقته الأكيدة بمن أرسله بعد التحقق منه زمنا
طويلا و باخبار الناهيين اليهم والآتين من عندهم يكون الرسول واقفا على ما يبلغ
عنه في تلك الجهات ومعيما عليهم فان حصل خطأ أو كذب في شيء منه فالعاملون به
مطيعون لأولياء أمورهم وليسوا عاملين بالظن ولا يلبث هذا الخطأ أو الكذب إلا
قليلاً فينمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقرب وقت . وهذه الحالة ضرورية
في مبدأ الدعوة حتى يتم الدين تلك الجهات ويكون فياوفي غيرهما مشهورا مستفيضا
متواترا فلا يتطرق لشيء منه بعد ذلك ريب أو شك وهي تشبه حالة التلاميذ مع
معلمي المدارس وتقييم العلم عندهم وعلمهم به فان الأمة رقية عليهم فان أخطأوا في
شيء أو دسوا عليهم أمرا فسرعان ما يعمل الى علم الأمة وأولياء أمورها فيتلافونه
في أقرب وقت

أما أحاديث الآحاد عنه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فهي تختلف عن ذلك
اختلافا كبيرا لان رواها ليسوا أولياء أمر المؤمنين حتى تجب طاعتهم من هذه
الوجهة ولم يثق بهم الرسول ولم يعرفهم ولم يعينهم لهذا الأمر ولم يتم رقبيا عليهم
لا بالوحي ولا بأخبار الناس عنهم فالفرق بين الخاتين عظيم

أما رسله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك فالغرض من ذلك إلهات نظرهم إليه
وتبهيهم للبحث في دعوته وتشويقهم للنظر في أمره وحالته وإلا فلا يمكن الايمان
لأجلها إلا بعد التثبت منها والتحقق من أمر الدعوة والداعي فهي كاتمهيد للدعوة
الحقيقية بوصول الدين اليهم متواترا على أيدي الناس كما حصل بعد وفاته

والخلاصة أن القرآن الشريف ينم العمل بالظن كثيرا فلا يمكن ان الله
سبحانه وتعالى يلزم عباده المؤمنين بالعمل بما لا يوجب عندهم اليقين وإلا كان
أمرهم بما ينم به غيرهم ويلومهم على اتباعه

وحيث أن أحاديث الآحاد من حيث هي لا تفيد اليقين كما بيناه في الكلمة
الرابعة فلذا اشترطنا التواتر فيما يجب علينا الاخذ به في الدين فدلينا على ذلك مبني
على حكم العقل وما جاء به الكتاب العزيز

(الكلمة السابعة) — معنى السنة وبيان وجوب العمل بها

السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة فسنة صلى
الله عليه وسلم هي طريقته التي جرى عليها في أعماله وأقنديه به أصحابه فيها وهي
واجبة الاتباع حتما على كل من آمن به وصدقته صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد
بما جاء في الحث عن اتباع السنة في أقوال الصحابة والسلف رضوان الله عليهم جميعا
كما لا يخفي على متأمل في أقوالهم ومن ذلك حديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
من بعدي» أي عليكم بطريقي وطريقة خلفائي الراشدين من بعدي فلانزاع في أن
اتباع طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في الدين هي واجبة على جميع أتباعه المؤمنين
أما أقواله صلى الله عليه وسلم التي لم تكن طريقة متبعة له ولا لأصحابه فهي موضوع
بجسنا وهي المتصودة في مقالاتنا الأخيرة تلك التي رواها الآحاد وانفردوا بها ولو
كانت واجبة الاتباع لعلمها الناس جميعا في عصره عليه السلام وجروا عليها في أعمالهم

وهذا هو أدل دليل على أنها لم تكن دينا عاما لجميع البشر بل هي خاصة لمن وجهت اليهم لاحوال خاصة وظروف مخصوصة أو انها كانت للإرشاد والندب لالوجوب ولذلك لم يكن اتباعها عاما بينهم . فهناك فرق عظيم بين لفظ (السنة) ولفظ (الأحاديث) ويجب على كل باحث في هذا الموضوع أن يدرك هذا الفرق جيدا حتى لا يقع في الخلط والخطب . وقد أدرك الامام مالك هذا الفرق فكان — رضي الله عنه — يقدم عمل اهل المدينة على الأحاديث ويرد منها ما خالف سنتهم التي ورثوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو صحت أسانيدها وقدرت من ذلك مئات كثيرة

أما تسمية الأحاديث مطلقا بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين ولولا هذا الاصطلاح لما احتجنا في مقالاتنا الى تقييد لفظ السنة بقولنا (العملية) فان السنة لا تكون الاعمالية وأما القول الذي يقال ولا يكون مبدأ يجري عليه العمل دائما فلا يسمى سنة عند المتقدمين

فاتباع سنة أي شخص هي الجري على منهجه والتزام طريقته ومبادئه وأصوله وليس معنى ذلك أن يتقيد المتبع بكل جزئية من جزئيات كلام المتبوع ، مثلا قد أكون متبعا لسنة الاستاذ الامام رضي الله عنه في تفسير القرآن الحكيم ومع ذلك أرى في بعض الآيات خلاف ما يرى ولا يخرجني ذلك عن كوني متبعا سنته فان سنته هي في ترك التقليد واستعمال العقل وعدم القول بالنسخ وتحري الحق والصواب لا في التزام كل قول من أقواله التزاما أعمى فكذلك ترك بعض أقواله صلى الله عليه وسلم في الامور الدنيوية المحضة وما حكم فيه بالرأي والاجتهاد وما خالف المصاحبة في زمننا لا يخرج المسلم عن كونه متبعا سنته صلى الله عليه وسلم فان سنته هي في اتباع الحق والصواب وتجنب الضار ومراعاة المصالح كما دل عليه الكتاب العزيز وترادفت فيه الاخبار المتعددة المصادر المختلفة المبني المتعددة المفردى وكما جرى عليه عمل كبار المسلمين وعقلاؤهم في كل زمان ومكان . فسنته صلى الله عليه وسلم هي في اتباع مبادئه الشريفة والجري على خطته ومنهجه وإطاعته فيما أوجي به إليه أو ما وافق الصواب والمصلحة من آرائه واجتهاداته وليست سنته في الجهود والتقليد

(التاريخ ١١٠٠م) السنة النبوية حقيقتها . آراء الأئمة في أخبار الآحاد ٧٥

والبعد عن العقل والتفكير كما عليه أكثر المسلمين اليوم ولذلك كانت أصحابه يخالفونه في كثير من المسائل في حياته وكان عليه السلام يرجع عن رأيه لأرائهم ولذلك أمر بمشاورتهم وما قال أحد بأن من خالفه منهم خرج عن سنته فإن سنته هي الشورى والتفكير ورعاية مصالح المباد وتحمري العدل والانصاف وعدم الاستبداد بالرأي . وقد خالف أصحابه رضوان الله عليهم في حياته وبعد مماته بعض أقوائه وبعض ما حكم به مراعاة للمصلحة ولولا خوف الاطالة لذكرت شيئا من ذلك كثيرا وقد وقفت هذا البحث في رسالة لي طويلة وقفنا الله لطبعها عن قريب

وسنته صلى الله عليه وسلم في الأمور نظم من فصوص الكتاب العزيز وماتواتر بين المسلمين عنه قولاً وعملاً ومن مجموع ما روي عنه من المصادر المختلفة في المسائل المتعددة . سنته معلومة للمسلمين باليقين وواجب اتباعها على جميع المؤمنين . وهذا هو المراد بما جاء في الكتاب الكريم من الأمر باتباعه والافتداء به والجرى على منهجه والاهتداء بهديه صلى الله عليه وسلم وهو أيضا المراد مما ورد عن أصحابه وعن سلف المسلمين من القول بوجوب اتباع السنة النبوية

وأما أخبار الآحاد التي لم يجر عليها السمل بلا انقطاع بين المسلمين فهي موضوع النزاع في كل عصر وجيل كما يتضح لك من الكلمة الآتية :

(الكلمة الثامنة) — آراء أئمة المسلمين في أخبار الآحاد وما قالوه فيها

وكيفية معاملة الصحابة لها

(١) قال الامام أحمد بن حنبل ما سنه : إن الأحاديث الواردة في تفسير

عبارات القرآن الشريف لا أصل لها . كما نقله عنه الحافظ السيوطي في الاتقان

(٢) وقال الامام الشافعي « إن نسخ القرآن بالحديث لا يجوز »

(٣) وقالت الظاهرية : إن تخصيص عموم القرآن بها غير جائز وأن السمل

بها غير واجب

(٤) وقال جمهور الأصوليين « إنها غنية »

(٥) وقال جمهور المسلمين « إنه لا يجوز الاخذ بها في العقائد »

(٦) وقال كبير من الأئمة كلقاضي عياض « إنه لا يجب الأخذ بها في المسائل الدينية المحضة ولو كانت موثوقة بها »

(٧) وقال جميع المحدثين « إن الموضوع منها كثير وتميزه صعب وفي بعض الأحوال مستحيل » راجع ما ذكرناه في الكلمة الرابعة

(٨) وقال أبو حنيفة وأصحابه من أهل الرأي والقياس « إن الصحيح منها قليل جدا » حتى أنه لم يأخذ إلا بيضة عشر حديثا

(٩) وقال مالك رضي الله عنه « إن عمل أهل المدينة مقسم عليها » وكذلك أهل الرأي والقياس يقدمون القياس الجلي عليها

(١٠) أجمع جمهور المسلمين على عدم تكفير من أنكر أي حديث منها

(١١) إن تناقضها كبير ومعرفة نسخها من منسوخها صعب أو مستحيل وكذلك

أكثر أسباب قوتها

(١٢) قام الدليل الحسي على أن الله لم يتكفل بحفظها من التحريف والتبديل

والزيادة والتقصان

(١٣) لم يجعها الصحابة ولم يتفقوا عليها

(١٤) لم يلقوها إلى الامم بانوار مع علمهم بأن اتباع الظن غير جائز في الاسلام

إلا لضرورة

(١٥) أهم نهبوا عن كتابها وأمروا بحرق ما كتبه منها كافي الروايات التي

صحت عندكم

(١٦) قد نهى بعضهم عن التعويض وكرهه وكذلك علماء التابعين

(١٧) كان أفاضلهم أقل الناس حديثا ويصدقون عنه ولو كان واجبا لما كان

هذا حالهم

(١٨) من كان من الصحابة كثير الحديث ملوا منه ونهوه وزجروه كما فعل عمر

بأبي هريرة وشكوا فيه وقالوا إنه يضع الشيء في غير موضعه ونسبوا له جنون كافي كتبكم

(١٩) إن أئمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها وما منهم من أخذ إلا خالف في

مذهبه كثيرا منها

(٢٠) لم يعان المسلمون بحفظها في صدورهم كما اعتنوا بحفظ القرآن الشريف فاذا كان هذا حال الاحاديث وما قاله المسلمون فيها وما عملوه بها فأبي فائدة منها ترجون؟ وأي ثقة بها تتقون؟ وأي شيء خالفت فيه الاجماع أو ابتدخته حتى أرمى بالكفر أو المروق؟ مع أن هذه المطاعن وأمثالها كثير لم يخل منها عصر من عصور المسلمين ولم تصدر إلا منهم . فيجب علينا أن نقدر أخبار الآحاد قدرها ولا يعيننا الجهل والتعصب عن حقيقة أمرها

أما قول حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ الياهي في الجواب عن بعض هذه المطاعن إن الصحابة اختلفوا في جمع القرآن وكتابته فهو لا يرد شبهة ولا يدحض حجة . فان القرآن الشريف من عهد رسول الله الى اليوم قد حفظ حفظا جيدا في الصدور لم يسبق له مثيل ولم يعرف عند أمة أخرى في كتبها . وكتب في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبأمر منه عليه السلام وباملأته على ما عرفوه إذ ذلك من أنواع القرطاس (كل ما يكتب عليه) ولم يختلف أحد منهم في وجوب كتابته ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع سورته مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في سطورهم المحفوظة عندهم وانما كان اختلافهم بعد وفاته عليه السلام في كيفية جمعه على طريقة لم يكونوا يعرفونها من قبل وما كانوا عهدوها وهي كتابته على صحف من الكاغد (كالورق الآن) مع ضم هذه الصحف بعضها الى بعض بالطريقة المعروفة اليوم في عمل الكتب فان الكاغد وعمل ما نسميه الآن كتابا ما كان معروفاهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو رقي في الصناعة التابع لرقبهم في المدينة بعد وفاته عليه السلام ولو كانوا علموه من قبل لعلموا المصاحف في زمنه ولما اختلف في ذلك منهم اثناث (راجع مقالة تاريخ المصاحف المنشورة سابقا في المارج) . ولما لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم الناس شيئا من الصناعات وغيرها من أمورهم الدنيوية التي يمكنهم أن يصلوا اليها بقولهم وتدرجهم في سلم المدنية واقتباسهم أشياء من الأمم الأخرى الراقية فلذا لم يوح اليه عليه الصلاة والسلام بتعليمهم صناعة ما نسميه الآن ورقا وكتابا كما أنه لم يوح اليه بتعليمهم أي

صناعة أخرى بل تركوا وشأنهم حتى يصلوا الى ذلك بمرور الزمان
والخلاصة أن القرآن محفوظ في الصدور مكتوب في السطور من عهد الرسول
وبأمره لم يختلف في ذلك أحد وإنما الاختلاف كان في مجازاة الترقى في الصناعة .
وقد ترقى صناعة عمل المصاحف شيئاً فشيئاً كما ترقى كل شيء آخر حتى وصلت
الى ما وصلت اليه في عصرنا الحالي

وأما كتابة الأحاديث فقد كتبت فيها مرات وأفاض القول فيها بعلومه الواسع
امتاد المثار فلا حاجة للتكرار

(الكلمة التاسعة) - أسباب استشهادي بأحاديث الآحاد في مقالاتي -
إعلم بأن من الحجج ما يسمى (بالاقناعي) وذلك ان يحتج على الخصم بما هو مسلم
عنده كأن تحتج على النصراني ببعض ما في الإنجيل الحالي وان كنت غير معتدله .
فأنا أورد الأحاديث غالباً لا لا ثبت معتدي نفسي بل لا تقع من لا يقع الا بها
ولست أعول في براهيني القطعية إلا على ما يفيد اليقين فما اذ كره من الأحاديث إما
لاقناع المسلمين وإلزامهم بها او التاكثير من الأدلة بضم ضعيفها الى قواها ليقوى بها مع
استعمال مبدأ الاستنتاج والتقدم فيها . وقد اتبعت في ذلك خطة علماء التاريخ المصريين
فانهم يؤيدون آراءهم في التاريخ القديم ببعض ما يعثرون عليه من الروايات ولو كانت
من الاساطير ويستنبطون منها ما لا يستنبطه الجهاد من الحقائق بعد ان يستنبروا في
دياجير ظلماتها بمصاييح من نور العقل والعلم فانه قد جرت عادة الناس بتضمين
حكاياتهم شيئاً من حقائق التاريخ فيأتي أهل النظر والبحث فيعرفونها ويلتقطونها من
وسط الخرافات ويتثبتون من صحة ما التقطوه بالاقيسة المنطقية والقضايا العقلية فاذا
أراد بعضهم ان يعرف مثلاً أصل الحجر الأسود عندنا عمدنا الى رواياتنا فيه وحكايامحك
التقدم والعقل فاذا سمع رواية * ان الله استودع الحجر أبا قيس حين انغرق الله
الارض زمن نوح عليه السلام وقل له اذا رأيت خليبي يتي بي فأنخر به فالتقى
ابراهيم لمحل الحجر ندي ابو قيس ابراهيم فاجاء فخر عنه فجعله في البيت * استخرج
بها بعد ان يزيل قشورها واوغهاها حمية هذا الحجر وهو اصله قطعة نخلها ابراهيم
بنه السلام من احجار جبل ابي قيس السوداء القهرية من الكعبة * وضعها في احد

او كان الكعبة علامة على الركن الذي يتبدأ منه بالطواف ليعرف الطائف كم مرة طاف
 بالبيت وليتدنى الناس بالطواف من قبة واحدة حفظا للنظام ونسيلا للطائفين (١)
 وكذلك يأخذ علماء التاريخ كثيرا من حقائق تاريخ اليونان مثلا مما يجدونه عندهم
 من الاشعار والحكايات القديمة كاليادة (هو مير) فاذا كان هذا ما يقوله العلماء
 في الاساطير فهل يستنكر مني أن استشهد بقرآنهم بأحاديثهم الصحيحة المسلمة عندهم
 وهي التي يقولون عليها في مذاهبهم ؟ وماذا يكون قولهم إذا لم أؤيد مقالتي بشيء من
 ذلك ؟ أما كانوا يقولون إنها محض رأي له غير مؤيد بشيء من القول ولو كان
 صحيحا ما خلت أحاديثنا منه فانها تكاد لا تقادر شيئا (إني والله لفي حيرة
 من أمرهم ١١) على ان كثيرا مما أذكره في مقالتي مروى عن كثير من الصحابة
 بالاسانيد المسماة عندهم صحيحة والروايات فيه مترادفة تكاد توجب اليقين والقول
 بأنها جميعا موضوعة لا يكفي عند الباحثين في نشوء الروايات لأرواء غلظتهم وإشباع
 نهبهم في العلم فلا بد إذا من البحث والتنقيب . ولو رفض المسلمون الآن
 ما ألزهم به من الأحاديث بعد تدوينهم لها في كتبهم واعتبارهم لها صحيحة أفما

(١) حاشية للكاتب — قبيل الحجر الأسود هو قبيل آثار رجال التاريخ
 العظام احتراماً لهم واجلالاً لشأنهم وجبا فيهم كمن يقبل سيف نابليون أودواة
 شكبير وقطعه ان وجدت ولكل أممة آثار موروثه عن رجالهم العظام ويقبلونها
 وهذا الحجر هو من آثار إبراهيم في بناء الكعبة ومحفوظ بالتواتر في الأمة العربية
 فلما قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبل غيره من أركان الكعبة وأتبعه المسلمون
 في ذلك إلى اليوم وإن لم يزل أحد منهم بوجوب ذلك ولم يذكر هذا الحجر في
 القرآن الشريف . ومن اعتقد أن شيئا من هذه الآثار يضر أو ينفع فقد خرج
 عن عقله وكفر بالله ورسوله . ومن العجيب أن الأفرنج يسمون قبيلنا لهذا الحجر
 عبادة — مع أن القبيل لا يسميه أحد في الدنيا عبادة — ولا يسمون سجدتهم لصورهم
 وصلبانهم وقديسيهم وقديساتهم والخبز في قربانهم — لا يسمون ذلك عبادة لهذه
 الأشياء مع أنه شتان ما بين السجود والقبيل فانظر وتعجب !!!

يكونون متعسفين ؟ وكيف إذا يكون التمييز عندهم بين الصحيح والضعيف والموضوع ؟
فألهم اجعل العقل رائدنا . وأثر بصائرنا . واجعل كتابك هادينا ومرشدنا . ونبيلك
إمامنا وقدوتنا ولا تخزننا يوم يعيشون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

المائة

﴿ بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ﴾^{١٠}

لحضرة جرجي افندي زيدان

ذكرنا في مقالتنا الآنف الأمر الأول من الأمور التي تؤخذ على المؤلف وهو
« تودده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع . وتشبثه بتحقيق
بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتماداً على أوهام وتخيلات قامت بذهنه
قطر » ومثلنا للشق الأول من هذا الأمر وأدحضناه بما عرفه القراء . والآن نمثل
الثاني ونأتي على بقية الأمور التي تؤخذ على المؤلف فنقول :

مثال الثاني --- انه عند ما تكلم على دولة النبط في بطرا نقل عن الثورة وعن
كلام مير الفرنسي وعن كوسين دي برسفال وعن آخرين ما يفيد أن الانباط ليسوا
عرباً وأنهم آراميون اتوا من الشرق فأجلوا الأروميين عن بطرا واحتلوها ثم رفض
كل هذه النصوص والآراء وغيرها من النصوص التي لم يذكرها مما جاء في السفر
الأول من اسفار المكابيين وفي تاريخ يوسفوس من غير أن يذكر برهانا واحداً
على تقضاها واستنبط هو بنفسه أنهم عرب وذكر لذلك دليان : الأول ان اليونان
حينما ذكروهم سموهم عرباً (ولعله يعني تقسيمهم جزيرة العرب إلى عرب بثرية
في الشمال وسعيدة في الجنوب) والثاني ان أسماء ملوكهم عربية . وهما دليان

(١٠) تابع لما نشر في ص ٦٨١ م ١١ من مقالة الشيخ أحمد الأسكندري

يتضاء لان امام النصوص التاريخية ولا سيما اذا كان ثمة ما يجعل هذين الدليلين
 ينمسان على غير مراد المؤلف فيكونان حجة عليه لانه . ونحن نفي أولا هذين
 الدليلين ثم نأتي بأدلتنا الوجودية على آرامية النبط أما الدليل الاول فان تسمية
 اليونان لسكان الشمال العربي من جزيرة العرب بالعرب البترية هي تسمية جغرافية
 كما اننا نسمي ما وراء اسوان بالسودان مع ان أكثرهم عرب لا زنوج وكما نسمي
 الصحراء الشرقية من مصر الصحراء العربية مع ان سكانها من البشارية والبيجة
 لا يعرفون العربية . على ان جميع ما عرف من حروب القائد اليوناني اتيفونوس وابنه
 ديمتريوس أنه وجد حولهم قبائل يظاهرونهم ويستجيبون لصراخهم ويؤيد ذلك
 ما نقله حضرة العلامة المفضل جبر صومط عن يوسفوس (جزء ثالث . مجلد ٣٣٣
 مقتطف) على ان سفر المكابيين من التوراة سماهم نبطا وجعل العرب احلافا لهم
 حينما استعان بهم يهوذا المكابي وهو كان معاصرا لهم أيضا

وأما الدليل الثاني — فان ما عثر عليه من اسماء الملوك العربية لا يثبت ان
 الشعب عربي فقد ثبت ان النبط في آخر أمرهم خضعوا للعرب وخصوصا قضاة
 وان الملوك الذين عاصروا منهم ملوك اليونان هم عرب حكموا أمة النبط كما يستفاد
 من تاريخ يوسفوس . وكما اننا لا نسمي الامم الهندية انجليزا لان امبراطور الهند
 انجليزي كذلك لا نسمي النبط عربا لان ملوكها في بعض الاحيان كانوا عربا على
 ان هذه الاسماء لم تكن خالية من التحريف والصبغة الآرامية والعبرية مع اننا
 عثرنا على كثير منها مكتوب بالخط النبطي نفسه لا اليوناني الذي هو مظنة التحريف
 واما كون لغة الكتابة عند النبط غير لغة التخاطب فهو مما لم يعم عليه دليل وما كان
 أحوج المؤلف الى ذكره لو وجده

أما أدلتنا على ان النبط ليسوا عربا وانهم خليط من الادوميين القدماء ومن
 الآراميين الذين جاءوا مع بختنصر ومن اليهود ومن العرب فهي :

(١) ما هو مشاع مستفيض عن العرب قبل الاسلام وبعده ان النبط غير
 العرب وانهم كانوا يعيرون العربي بأنه نبطي واعتبر كثير من الفقهاء ان نداء

العربي يا نبطي قذف وسب ناهيك بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تكونوا كنبط السواد إذا سئل عن نسبه قال أنا من بلد كذا

(٢) إن لغتهم لغة خاصة بهم يخالف العربية وتنال حظا من الآرامية وحظا من العبرية وحظا من العربية - بل فيها كثير من اليونانية

(٣) إن جميع النصوص التاريخية من التوراة في إشارة أرميا وحزقيال وفي أسفار المكابيين ما يفيد ان النبط غير العرب وان الآله انتم من الادوميين وضربهم بغارة يختصر فدمر عليهم وأورث الأرض من بعدهم الكلدانيين الذين جاءوا معه من بابل وان النبط كانوا في بعض أدوارهم احرافا لليهودا المكابي وانهم استأجروا جيوشا من العرب يظهرونهم وهذا يدل على ان المستأجر غير الاجير

(٤) ما جاء في تاريخ يوسفوس من ان النبط بقوا مستقلين عن العرب الى أيام الاسكندر مانيوس بن ارستو بولوس بن يوحنا هر كاتوس بن سيمان أنشي يوناتان ويهوذا المكابي اليهودي فانه بعد وفاة هذا الملك اخضعهم العرب وقام منهم عليهم عدة ملوك كانوا يسمون تارة ملوك النبط وتارة ملوك العرب وان كانت الجنسية متميزة بينهما وبقوا كذلك الى ان استولى عليهم الرومان سنة ١٠٥ م

(٥) حقق كل من كاترمير الفرنسي وكوسين دي برسفال وغيرهما من علماء الآثار ان سكان بطرا بعد الادوميين هم أمم نازحة من العراق وبابل ولا ينطبق ذلك إلا على زمن يختصر اذ سكان بطرا قبل يختصر لم يعرفوا إلا باسم الادوميين وبعده لم يعرفوا إلا باسم النبط مع انه من الثابت ان يختصر أباد الادوميين تحميقا لوعيد حزقيال وأرميا النبيين من ان الله ينزل عليهم بلاء ويجعل جبال عيصو خرابا وميراثا لذئاب البرية وانه حارب العرب حتى كاد يقينهم فلو كان النبط عربا لما استبقاهم فيها فظهر من ذلك أن الانباط بقايا القبائل الآرامية التي سكنها يختصر في بطرا ليكونوا حراسا وثقاة لتجارة بابل لان فتوحاته كانت كلها تجارية شامتجوا بغيرهم من اليهود والعرب وما يرى في لغتهم من الالفاظ العربية لا يربو على ما يوجد في العربية المصرية من الالفاظ العبرية

على ان المؤلف لما أحسن تضعيف دليله عن تبريره تلك الحجة التي هاجها في

أكثر من خمس صفحات من كتابه مع ثقته ان المكتوب من آثارهم ليس عربيا
زعم بلا دليل ان لغة تخاطبهم غير لغة كتابهم ثم رجح وقال:

«على اننا لانظن اللغة العربية التي كان يتفاهم بها النبطيون هي نفس اللغة
العربية التي عرفناها في صدر الاسلام ولا بد من فرق بينهما اقتضاه ناموس الاوتقاء»
هذا مع علمنا ان النبط دخلوا في حوزة الرومان في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد
واننا نروي كثيرا من شعر العرب وامثالهم منذ القرن الرابع من الميلاد مما يظهر لنا
تمام الاظهار ان هذه اللغة العربية الفصيحة باعراها واشتقاقها وكثرة اساليبها التي
لا تنتهي قد تكونت بهذه الصورة قبل ذلك بكثير أي وقت ما كان النبط نبطا بل
قبل هذا الوقت ولا سيما اذا علمنا ان اللغة العربية هي لغة أهل بادية وهم أبعد الناس
عن الانقلابات اللغوية كما يصرح بذلك حضرة المؤلف في أكثر من موضع من كتابه
(٦) ان النبط الذين كانوا في الشرق في صحراء الكوفة وعلى ضفاف الفرات

وبقوا متميزين عن العرب الى ما بعد الاسلام بنحو مئة وخمسين سنة هم يشبهون
نبط الشام من أكثر الوجوه بدليل أن ما وجد من آثارهم ومعبوداتهم وخطوطهم
يبدل على أنهم من عنصر واحد واطلال تدمر والخط التدمري صنوا لنبطي تشهد بذلك
فان كان نبط الشام خالطوا قضاة فنبط العراق خالطوا الخوارجا ماو بكر او تغلب وعبادا
ومن أمثلة الشق الثاني وهو تشبهه بتحقيق بعض الظنون الخ انه عندما تكلم على «دول
اليمين ذكر من بينها دولة زعم ان العرب لم تعرفها وهي أهل (معين) وقهى على أثر
ذلك بأن استظهر انها أمة قديمة جدا بتندي: أخبارها منذ أر بعين قرنا قبل الميلاد
لمشورهم على أثر قديم من آثار بابل ذكر فيه بالخط المسامري « ان زام سين حمل
على مغان وقهر ملكها معنيوم » واستنتج ان مغان هذه هي مغان طور سيناء وأن الميم
في «معنيوم» للتوين وبالطبع يعتقد ان اللفظ حرف واختزل حتى صار (معين)
وكذلك نقل عن سفر الاخبار « أن الله أعان عزريا على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين
بجوار بعل وعلى الممورين » أي المجاورين طبعا للفلسطينيين وكل هذه الحوادث
حدثت في برية الشام والأمة يمانية

أيها المنكح اثريا سهيلا عرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت وسبيل اذا استقل يعني
ولو كان الشبه بين لفظين يكفي ان يبنى عليه تاريخ أمين لقدحق لنا ان نقول
على التاريخ العفاء

ثم اقتضب الكلام ورأى رأيا أخيرا أنهم من جالية الآراميين أتوا من العراق
في هذه العصور السحيقة واستعمروا اليمن ثم اشكل عليه الأمر بأن المصينين لو كانوا
من العراق لكتبوا بالخط المساري مع ان آثارهم مكتوبة بالخط المسند المشتق من
الفينيقي فلم يرجح لهذا المشكل سوى ادعائه بأنهم استبدلوا بالخط المساري الخط
الفينيقي لسهولة هذا الأخير في نظره !! ولكن كل هذه العراقة في القدم لم تمنعه من
وصفهم في موضع آخر أنهم كانوا معاصرين للسبثيين الذين لم يبتديء دولتهم على
رأيه الا في القرن الثامن قبل الميلاد ونقل عن اليونان في صفحة (١١٦) ان هذه
الامم وغيرها كانت متعاصرة وان عاصمتهم (مأرب) ثم يتشبه في موضع آخر بأن
القحطانيين السبثيين كانوا بعد المصينين أو أنهم ورثتهم أو أنهم جنشان أو أنهم
عماقة جاءوا من مصر هذا الى اضطرابات وتناقضات توقع طالب التاريخ في حيرة
واوتباك يهون عليه معهما نبد كل هذه التخريعات والاعتقاد بأن كل هذه الامم كانت
قبائل متجاورة في محاليف متقاربة أعظمها مأرب
الامر الثاني من الامور التي تؤخذ على المؤلف — تناقض عبارات كتابه في

عنة مواضع

منها ادعاؤه ان اسماء ملوك حمير لم يكن فيها اسماء عدنانية حتى قال في صفحة
(١٦٦) لم نجد لذلك أثرا في الآثار المنقوشة ثم نقل في صفحة (١٥٩) اثر اعظيا لابرهة
الجبشي وفيه يسي ولاته من حمير واقبالهم يزيد وكشة ومرة وثمامة وحنشا ومرند
كما تقدم

ومنها تناقضه في ان الجبائين لم يعرفهم العرب بل عرفهم اليونان وحدهم ثم ذكر
في صفحة (١٣٤) ان الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب قال حجياً مدينة الفاخر
وهي لآل الكرندي من بين ثمامة آل حمير الاصفره مع ان اليونان لم يذكروهم بأكثر
من انها قبيلة تجارية

ومنها تناقضه في استظهار أن السبئيين حبشان ثم ذكر في صفحة (١٣٦) ان
الميين القادمين من العراق نقلوا معهم حضارة العراق ونظام حكمته وقسموا اليمن
الى محافد وقصور وطعموا في جيرانهم واخضعوهم وانشؤا الدولة الميمنية
والسبئية والحيرية

ومنها تناقضه في ان الميين لم تعرفهم العرب مع انه نقل في صفحة (١١١)
عن الهمداني في كتاب الاكليل ان «محافد اليمن براقش ومعين وهما بأسفل جوف
الرحب متبيلتان فمعين بين مدينة نشان وبين درب شراقة» وروى ان مالك بن
حريم الدلاي يقول فيها

ويحى الجوف مادامت معين بأسفله مقابلة عرادا

وفيهما وفي براقش يقول فروة بين مسيك

أحل يجابر جندي عطيفا معين الملك من بين البينا

وملكنا براقش دون أعلى وانهم اخوتي وبني ابينا

ومنها تناقضه في أن العرب لم يعرفوا دولة النبط في الشام ثم ذكر في عدة حوادث
انهم عرفوها خصوصا في صفحة (٧٩) حيث نقل عن ابن خلدون وحزرة الاصفهاني
معرفة لنبط الشام وان بطرا كانت تسمى بعد الاسلام الرقيم ولم فيها شعر هذا
الى مناقضات كثيرة لا تسع سردها ولا تفصيلها هذه المعجالة

الامر الثالث من الامور التي تؤخذ على المؤلف جسارته على وضع الاسماء
والتقسيمات التاريخية مع ضعف الاستظهار كتقسيماته ادوار تاريخ العرب وكتسميته
الامة التي سماها استرابون اليوناني جرهدين بالقريين نسبة الى قرية وهي اسم اليمامة قديما
وهم الذين قال فيهم استرابون «انهم أغنى أهل الارض ويكثرون من آنية الذهب والفضة
ويزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والاحجار الكريمة» فتي كان أهل اليمامة
أغنى أهل الارض ومتى كان لهم جدران تزين بالذهب والفضة والاحجار الكريمة؟
أليس كلام استرابون أشبه بانحرافات التي تقال عن مدينة شداد بن عاد (إرم
ذات العباد) التي ييكت حضرة جرجي افندي زيدان جملة مؤرخينا على ذكرهم
(المناج ١٠) (٩٩) (المجلد الحادي عشر)

٧٨٦ ذهاب مواف تاريخ العرب وراء الظنون (المنارج ١٠م ١١)

لها! ولكنه لا يكت استرابون بل لم يكتف بقوله حتى حرف لفظه (جرها) بل لفظ
(قرية) وجعل اهلها دولة لم تعرفها العرب وفتح بابا لها خاصا في كتابه ورسمها على
المصور الجغرافي !!

الامر الرابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف ترتيب القارئ في تهجينه
اخبار العرب في حوادث الفخر والغلبة كفتوحات شمر برعش وأسد ذي كرب
في آسيا وأفريقيا في أفريقيا وحسان بن تبع . وتصديقه خرافات استرابون
وهيريدوت مع انها لم يدخل بلاد العرب ولم يراها . واقرأ ما نقله عن استرابون
في صفحة (١٣٨) تتحقق صدق ماقول وهذا نصه :

« وذاكر استرابون ضربا من الاشتراكية عند أولئك العرب غريباني بابيه
فبعد ان أورد اشترك كل عائلة بالاموال والتماع بين أفرادها وان رئيسها أكبر
رجالها سنا قال : والزواج مشترك عندهم يتزوج الاخوة امرأة واحدة فن دخل
منهم اليها أولا ترك عصاه بالباب والليل خاص بأكبرهم وهو شيخهم وقد يأتون
أمهاتهم ومن تزوج من غير عائلته عوقب بالموت . كان لاحد ملوك العرب ابنة
بارعة في الجمال لها ١٥ أخا كل واحد منهم يهواها حتى ماتهم واحتالت على منعهم
بعضي اصطنعها تشبه عصيهم وكان لكل منهم عصا عليها علامته . فكانت إذا
خرج أحدهم من عندها حمل عصاه ومضى فتضع هي مكانها العصا التي اصطنعها على
مئالها فيقوم سائر الاخوة أنه لا يزال عندها وقد يجيء أحد يتفقد الباب ولما يرى
العصا بجانبه يرجع فبديل العصا الاولى بعصا مثل عصاه وهكذا . فاتفق مرة ان
الاخوة كانوا جميعا في ساحة ورأى أحدهم باب أخته عصا وليس من إخوته أحد.
غائبا فظن فيها سوء فشكاها إلى أبيها ولما اطع على عندها برأها . هذه حكاية
استرابون ولم تذكرها إلا لغرابتها ولا نعلم مقدار ما فيها من الصحة » اهـ

يذكر هذه الحكاية هنا بالتفصيل ويعتذر بهذا العذر مع انه عند ما يقتضي
المقام شيئا صحيحا تاريخيا عن العرب يدبجه ويجميل فيه ويحيل القارئ على
الكتب الأخرى !!

الامر الخامس سوء التعبير من الوجهة الدينية في عبارات الكتاب كقوله في صفحة (١٠) أقدم المصادو العربية المدونة عن تاريخ العرب وأقربها إلى الصحة القرآن (٩) الامر السادس من الامور التي تؤخذ على المؤلف انه أغفل مدة حكم الفرس على اليمن بعد ذي يزن فلم يذكر أحدا من عمالهم هم ان عمال كسرى استمروا يحكمون اليمن الى الاسلام فكان آخرهم باذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم صارت اليمن الى الاسلام الامر السابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف كثرة شكه وتردده وتناقضه في اكثر الحوادث حتى انه لا يرى المطلع على كتابه خيرا مبرها على صحته بدليل متنع ويظهر ذلك ظهورا بينا في آرائه الخاصة واجتهاداته التاريخية الامر الثامن من الامور التي تؤخذ على المؤلف تخريبه الاعلام تخريبها بغيرها قال ان اسم امرئ القيس يظنه محرفا عن مرقس ١١ وان اسم الحارث ربما كان ترجمة جيورجيوس واسم صخر ترجمة بطرس ١١ الخ ما ذكر من التخريج الامر التاسع اختصاره التاريخ جدا وهو أحد العيوب التي عابها على مؤرخي العرب فلم يسلم هو منها والكامل لله وحده

أناك عيال بحرية

ترجمت الخنساء (*)

هي السيدة ثماضر الصحابية الشهيرة الجليلة بنت عمرو بن الحارث بن الشريد من سرة سليم ، كانت رضي الله عنها من شواغر العرب المشهود لمن بالتقدم ، وإنما لقبت الخنساء تشبيها لها بالطيبة لان الخنساء من صفات الطباء وهو تأخر

(*) خلاصة درس القاه على طلاب مدرسة القضاء الشرعي الشيخ محمد المهدي

الاستاذ المشهور المدرس بمدرسة القضاء